

## إسرائيليات

### مقابلة مع رئيس الحكومة

#### الإسرائيلية، إيهود باراك\*

■ ما هي البيئة الاستراتيجية التي تتوقعونها هنا في الشرق الأوسط في الأعوام الخمسة أو العشرة المقبلة، وكيف يؤثر [تصوركم لها] في اتخاذكم القرارات بالنسبة إلى العملية السلمية؟  
□ [.....]

الواقع هنا يتسم بثلاث سمات: أولاً، إسرائيل قوية. قوية جداً. الأقوى في المنطقة.

ثانياً، هذه بيئة قاسية [....] هذه ليست أوروبا الغربية، وليست أميركا الشمالية، وهذا يعني أنها مكان لا يوجد فيه فرص ثانية، ولا يوجد فيه رحمة تجاه الضعيف. ولذلك علينا أن نبقي أقوىاء لأعوام طويلة مقبلة، حتى بعد أن نتوصل إلى اتفاقات سلام مع الجميع. أقوىاء من جميع النواحي: عسكرياً، ودبلوماسياً، واقتصادياً، وعلمياً، وتربوياً، وفي علاقاتنا بالعالم اليهودي. هذه القوة ستكون الضمانة لاستمرارنا في الوجود، وستتيح لنا الصمود هنا إلى أن نصل إلى النقطة، إلى أن يحين الوقت الذي نصبح فيه، ربما، في مكان مثل أميركا الشمالية... وهذا قد يستغرق ثلاثة أو أربعة أجيال.

ثالثاً، هناك نافذة فرصة انفتحت هنا عندما تفكك الاتحاد السوفياتي، وستنغلق، ربما، بعد خمسة أو ستة أعوام، إذا ما وجد زعيم في المنطقة، ديكتاتور، يمتلك قدرة نووية ووسائل لإطلاقها. إن من شأن هذا أن يفاقم عدم الاستقرار. والسؤال هو: ماذا يتعين علينا أن نفعل في إطار هذه المهلة الزمنية؟ أقول: علينا ألا نتجاهل الصعوبات، لكن يجب أن نتخذ، بحرص، القرارات الصحيحة الآن بالضبط.

\* The Jerusalem Post (Internet Edition), 24 & 28 September, 1999.

وقد أجرى المقابلة دافيد ماكوفسكي ودانا هارمان.

إننا نواجه ثلاث دوائر تنطوي على تهديدات. الدائرة الأقرب هي دائرة الإرهاب، داخلياً وعلى حدودنا. وبعدها، هناك دائرة الأسلحة التقليدية المتزايدة إقليمياً. أخيراً، هناك دائرة الأسلحة غير التقليدية المتزايدة إقليمياً. تأثيرنا في الدائرة الأوسع محدود، و[التهديدات التي تنطوي عليها] موجودة من دون علاقة بنا، إلى حد ما. خذ إيران، مثلاً: عندما تنظر إيران شرقاً ترى قوى نووية ممتدة حتى إيركوتسك. باكستان نووية، والصين نووية، والهند نووية، وكوريا الشمالية نووية. هذا هو المشهد الذي يرونه [الإيرانيون]، ونحن لا علاقة كبيرة لنا به. وفي الوقت نفسه، لا مصلحة استراتيجية لنا في أن ندفع أنفسنا لنصبح قطباً رمزياً ومنذراً بالشؤم في الصراع بين الخير والشر. وبالمناسبة، إيران تنظر غرباً وترى صدام حسين يحاول تطوير قدرة نووية. ولذلك، يجب أن نرى الوضع من خلال منظور صحيح.

يجب أن ندفع الأمور في الاتجاه الصحيح. لكن هذا يجب ألا يعمينا عن حاجتنا في ساحتنا الخلفية، حيث نستطيع أن نؤثر. وفي ذهني استنتاج واضح هنا: من موقع قوة وثقة بالنفس، ومن خلال نافذة الفرصة، وداخل هذه الجيرة القاسية، نستطيع أن نعطل صواعق الألغام المباشرة في الصراع، التي هي أيضاً الأشياء التي تؤثر فينا يومياً. ومن شأن هذا أيضاً أن يساعد في المدى الزمني الأبعد، في تشتيت قاعدة العداء الطويل الأمد لإسرائيل.

لا أرى كيف يمكن أن تستمر إيران والعراق في إبقاء هذا العداء إذا نجحنا في التوصل إلى صفقات سلمية مع السوريين واللبنانيين والفلسطينيين. إن رؤيتي للشرق الأوسط المستقبلي واقعية. المنطقة ليست أوروبا الغربية، ليست البينيلوكس.

■ فيما يتعلق برؤيتكم للدوائر المتعددة هنا، هل يعني ما تقولونه أن على إسرائيل أولاً أن تتوصل إلى السلام قبل أن يقع تغيير في ميزان القوى في المنطقة؟

□ سيكون ثمة تغيير في الواقع هنا، وليس بالتحديد في ميزان القوى، لأن (تقويم) ميزان القوى، طبعاً، أمر معقد جداً. لسنا معنيين بظهور رجل مجنون يسيطر على قوة نووية. من يحتاج إلى ذلك؟

إننا نسعى للتوصل إلى اتفاقات سياسية مستقرة تعكس إدراك القيادة للخيارات القائمة - إما اتفاقات، وإما التوجه إلى وضع شبيه بوضع البلقان أو بلفاست والدخول في نزاع جديد. وعندما نواجه هذا الخيار، نفضل الاتفاقات. وفي سعينا للتوصل إلى هذه الاتفاقات، على كلا الطرفين أن يدرك، من جهة، أن لكل طرف خطوطه الحمراء - مصالحه التي لا يمكن المساس بها - ويدرك، من جهة أخرى، أن هناك مساحة يمكن تفحصها والعمل لمراعاة مصالح الشركاء في نطاقها. مع السوريين، أعتقد أن هذا ممكن. لا أعرف إن كان سيحدث. قد لا يريد [الرئيس السوري حافظ] الأسد أن يحدث هذا، وعندئذ لن يحدث، لكنه ممكن. مع اللبنانيين، هذا بالتأكيد ممكن. مع الفلسطينيين، الأمر أصعب، لكن أعتقد أننا حققنا قفزة كبيرة إلى الأمام باتفاقنا على تاريخ نهائي (deadline) للتوصل إلى اتفاق على المبادئ. لماذا؟ لأننا إذا لم نتمكن من التوصل إلى اتفاق إطار خلال خمسة أشهر، فإننا لن ننجح في التوصل إلى اتفاق نهائي حتى خلال خمسة أعوام. وحتى لو نجحنا جزئياً - أي حددنا الأجزاء التي يمكن، من حيث المبدأ، الاتفاق بشأنها، والأجزاء التي ستطلب اتفاقات انتقالية بعد مدى، أو تلك التي يمكن أن نرى ما سيؤول إليه أمرها في الوضع الدائم، لكنها تحتاج إلى وقت طويل لنصل إلى اتفاقات بشأنها - فسنكون قد فعلنا لاشيء الصحيح.

ماذا يقصد أولئك الذين يقولون أنني مستعجل جداً في هذا الشأن؟ لقد مرت 6 أعوام على أوسلو، و15 عاماً تقريباً على الانتفاضة، و35 عاماً على تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية، و100 عام على بدء النزاع. ما الجديد الآن؟ ماذا نستطيع أن نعرف أكثر عن مواقفنا؟ الشيء الوحيد الذي نستطيع أن نفعل أكثر بشأنه هو أن ندفن مزيداً من الإسرائيليين ومزيداً أكثر كثيراً من الفلسطينيين، كي نجتمع بعدها معاً ولدينا الخرائط نفسها والخلفية التاريخية نفسها. من يعرف أكثر مني؟ بالنسبة إليّ، عندما أتخلي عن أجزاء من هذا البلد، فإنني كمن يقتلع ذراعه [...] إن التفكير في التخلي عن الأرض المحيطة بـ [مستعمرة] بيت إيل، وليس حتى بيت إيل ذاتها، أو المنطقة المحيطة بـ [مستعمرة] شيلو أو معاليه ليفونا أو بيت حورون، يمزق فؤادي. إنني مرتبط عاطفياً ومادياً بكل واحد من هذه الأماكن.

■ هل الانسحاب من بيت إيل إيمان مطروح؟

□ كلا، بالتأكيد ليس من المستوطنة. لكن إسألني عن المنطقة المحيطة ببيت إيل. إذا كنا سنبقى إلى الأبد في دير دبوان – لا أعتقد ذلك.

هل [الزعيم الفلسطيني ياسر] عرفات يدرك أنه لن يحصل على 100% من الأراضي التي يريدونها؟

لا أريد أن أتكلم باسمه، لكنني متأكد من أنه يعرف. طبعاً لن يقول ذلك. إذا أجريتما مقابلة معه، فإنه سيقول، ولا شك، أنه يريد كل شيء. لكنني واثق بأنه يدرك ذلك – إذا أراد التوصل إلى اتفاق. إذا لم يكن يريد اتفاقاً، فهذه قصة أخرى.

سيكون الأمر عسيراً جداً. وسيكون الاتفاق النهائي كتاباً ثقيلاً جداً، لو وقع على قدم امرئ لتسبب له بمشكلة كبيرة، لكن يمكن كتابته في بضعة أشهر فقط. المبادئ؟ كل ما نحتاج إليه لكل مسألة هو صفحة واحدة.

كيف أعرف أننا لن نقدم على تنازلات مغلوط فيها؟ لأنني وعدت بإجراء استفتاء في شأن الاتفاق النهائي، والشعب لن يوافق على الأنماط المغلوط فيها من التنازلات.

لقد اعتدت في الأعوام الماضية التقاء مقترعين لليكود وكنت أسألهم: من منكم زار، مؤخراً، عصيرة الشمالية (القريبة من نابلس)؟ من يعرف حتى أين تقع؟ إنها ليست مكاناً صغيراً. إنها قرية كبيرة. ومن منكم زار، مؤخراً، المزرعة الشرقية (شمالي رام الله)؟ وأستطيع أن أعطي مفاتيح سيارتي لبعض أشد المتحمسين لأرض إسرائيل، لكنهم لن يعرفوا الطريق إلى شارع الشهداء (في الخليل)، الذي يشكل البؤرة لهذه النزاعات كلها.

## ■ كيف تتصورون الانفصال عن الفلسطينيين؟

□ ليس من السهل إقامة سياج حول 400 كلم أو 600 كلم، هي مساحة الكيان الفلسطيني. لكن أعتقد أنه سيكون هناك، في النهاية، جيل يشتمل الفصل فيه [بين إسرائيل والكيان] على سياج. لن يكون سياجاً لضمان إلا يمر أحد عبره، لكن سياجاً يمر الناس عبره وفقاً لأنظمة معينة، ولا يسمح لأي مجنون بالدخول مع متفجرات. عندما يكون هناك سياجات، نستطيع أيضاً إغلاقها أحياناً عند الضرورة. يجب أن نجد حلاً لكل هذا، ونحن ملتزمون تجاه اتفاقات معينة.

أرى، مثلاً، أهمية كبيرة للجسر [من غزة إلى الضفة الغربية]، لا لأنه سيوجد فرص عمل فقط - ستبلغ تكلفته 600 مليون دولار، ربما 150 - 200 مليون دولار ستذهب إلى الطرف الفلسطيني [...] - بل أيضاً، وهذا هو الأهم، لأنه سيؤمن تواصلًا فلسطينياً.

في غزة يوجد 1,5 مليون نسمة، وفي الضفة الغربية هناك مليون أو مليون ونصف مليون آخرون. يجب أن يكون هناك اتصال بينهما. أنا مع البدء ببناء الجسر الآن، ومع البحث عن مساهمين دوليين يريدون المشاركة، ومع الحصول على مساعدة من حكومات لإنشائه. أنا مع بنائه من خلال أربعة أعوام لأنه يجب، بموجب الاتفاقات، أن نبقى ممراً واحداً مفتوحاً في جميع الأوقات. كيف نستطيع أن نفعل ذلك من دون جسر كهذا؟

#### ■ هل ستوقف هجمات إرهابية عملية السلام؟

□ يجب أن نفهم، نحن والفلسطينيون، أن لنا مصلحة مشتركة. الإرهاب يمكن أن يوقف العملية. يجب ألا يكون لدى أحد أوهام في هذا الشأن. لذلك لدينا مصلحة مشتركة. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الإرهاب من لبنان، إذ إنه يمكن أن يوقف العملية مع سورية. وبالتالي فإن لدى الأسد ولديّ، كما أعتقد، مصلحة في إيقاف إرهاب حزب الله.

■ هل ما تقولونه يعني أنكم تربطون بين هجمات حزب الله والمفاوضات مع سورية؟  
هل حقيقة أن الأسلحة تمر عبر مطار دمشق تعني أن المرء لا يستطيع أن يقول ببساطة إن المتطرفين يحاولون إيقاف عملية السلام، بينما الأسد نفسه يسمح بمثل هذه الأمور؟

□ كل شيء معقد. الأسد، كما أعتقد، يعلم بأن لبنان، الذي كان تقليدياً عبئاً بالنسبة إلى إسرائيل وميزة بالنسبة إلى سورية، أصبح الآن عبئاً بالنسبة إلى الطرفين. وتظهر التجربة أنه عندما يكون هناك محادثات، يكون مستوى هجمات حزب الله منخفضاً. إذا كان السوريون أذكاء، فسيكون الأمر كذلك الآن. وإذا لم يحدث ذلك، فإن التطورات ستتأثر.

■ هناك مدرسة فكرية، أبرز دعائها الأكاديمي الأميركي دانييل بايبس، تقول إنه فيما يتعلق بعملية السلام فإن الأسد يستمتع بالعملية أكثر مما يستمتع بالسلام. العملية توفر له منافع كثيرة في تعامله مع الولايات المتحدة وأوروبا، بينما السلام نفسه يمكن أن يحرر قوى نابذة ليبرالية من عقالها، تستطيع أن تقوض نظامه من أساسه. ما رأيكم؟

□ لقد كان هناك مدرسة فكرية قالت إن ما يخشاه الأسد هو عقدة تشاوشيسكو. ماذا فعل [الزعيم الروماني السابق نيكولاي تشاوشيسكو]؟ لقد فتح النافذة كي يدع قليلاً من الهواء يتسرب من أوروبا الغربية. وفجأة، هب إعصار قذف به خارج النافذة. ورأى الأسد ذلك [...] .

[....] تقديرى هو أن الأسد يدرك أن لا خيار أمامه إذا كان يريد ألاّ تصبح [سورية] ألبانيا أخرى. ينبغي له أن يفتح [النافذة] بحذر وذكاء، بطريقة تحفظ تجربته وتراثه، وهو يريد أن يفعل ذلك.

■ ألا يوجد ما يدل على أنه [الرئيس حافظ الأسد] يتخلى عن مواقفه المعروفة بالنسبة إلى معارضة إسرائيل العودة إلى حدود 4 حزيران/ يونيو، بما في ذلك الانسحاب حتى بحيرة طبرية؟

□ لا يوجد ما يدل على ذلك، وليس لديه سبب يدفعه إلى ذلك، إلى أن يعلم بأنه سيكون هناك اتفاق. أعتقد أن المفاوضات ستتجدد، لكن لا أعرف إن كانت ستنتهي باتفاق أم لا.

■ هناك مدرستان فكريتان فيما يتعلق بصواب أو خطأ عقد السلام مع الجيل القديم، مثل الأسد أو عرفات. من يدعو إلى "عقد السلام مع الجيل القديم" يقول إن القادة القدامى هم فقط الذين يستطيعون الإقدام على تسويات تاريخية وسيقبل جيل الشباب كلامهم كما لو أنه كلام مقدس. ومن يدعو إلى "عقد الصفقة مع جيل الشباب" يقول إن الشباب هم الذين ستعايش إسرائيل معهم، ولذلك من الأفضل الانتظار. أيّاً من المدرستين تفضلون؟

□ أفضل الأولى - التعامل مع (القادة) القدامى. إن القادة الذين كانوا هناك عندما كانت دولهم تتأسس هم الذين يستطيعون اتخاذ القرارات الخطرة الآن. [مثلاً] الأسد هو رمز الثورة هناك؛ إنه هو الذي صاغ الدولة. وعرفات أيضاً، بمعنى ما، هو الذي

صاغ شعبه. ولذلك يتمتع هؤلاء القادة بنوع من السلطة ولديهم منظور يسمح لهم باتخاذ القرارات الصعبة.

القائد من الجيل الجديد سيحتاج إلى عدة أعوام ليملك القوة ويعزز سلطته. ثم سيحتاج إلى عدة أعوام ليبرهن أنه لا يقل صلابة عن الجيل السابق، وبعد ذلك فقط يستطيع أن يوجه اهتمامه إلى أمور أخرى.

[الرئيس المصري السابق المرحوم أنور] السادات، مثلاً، لم يكن قط في نظر المراقبين من ذلك النوع من القادة الذين يمكن أن يتخذوا قرارات تاريخية. وكما اتضح، اتخذ قرارات تاريخية. لكن، في أية حال، ماذا فعل هو أيضاً عندما وصل إلى السلطة؟ أمضى عدة أعوام في تعزيز سلطته: كان هناك حرب الاستنزاف، ثم حرب يوم الغفران، وبعد ذلك اتجه نحو التسوية.

إن القول "دعونا ننتظر، فلعل القادم يكون أفضل" ينم عن تقاعس وسذاجة. نحن لسنا قوة هامشية. نحن القوة الكبرى في المنطقة. نحن الدولة الأقوى في نطاق 1500 كلم حول القدس... وها أنا أقول، وقد وصلت السلطة بانتصار كبير، إنني سأزيل كل عقبة من أجل التوصل إلى اتفاق سلام من شأنه أن يعزز قوة إسرائيل.

■ ماذا عن أولئك الذين يقولون إن وعدكم خلال الحملة الانتخابية بترك لبنان خلال عام سيؤثر سلباً في المفاوضات؟

□ كلا، سيكون له تأثير إيجابي. في الحقيقة، سيتطلب التوصل إلى اتفاق مدة أقل كثيراً من عام إذا كنا نريد ذلك، وإذا كنا لا نريده فلن تكون ستة أعوام كافية أيضاً. نحن هناك منذ سبعة عشر عاماً، ولم نترك بعد. لا جدوى من الانشغال بالسؤال: ماذا لو حلّ شهر تموز/ يوليو ونحن لم نتوصل بعد إلى اتفاق مع السوريين؟ إذا حل الشهر وكان الأمر كذلك، فستتعامل معه في حينه. وفي هذه الأثناء، أعتقد أننا سنجد خلال بضعة أسابيع صيغة تتيح لنا تجديد المفاوضات (مع سورية).

■ ماذا لو لم يتم التوصل إلى صفقة مع سورية؟

□ لست مضطراً إلى بدء التخطيط لوضعيات افتراضية أخرى. أنا لست خائفاً من المواعيد، فنحن لا نتحدث عن عقد هنا. إذا خرج الجنود من لبنان خلال عشرة أشهر،

فلن أطالب بوسام، وإذا استغرق الأمر خمسة عشر (شهرًا) لا أنوي الانتحار. أقول نصف عام من أجل التوصل إلى إطار، وإذا استغرق الأمر خمسة أشهر ونصف شهر، فسيكون هذا حسنًا.

[.....]

■ ماذا بشأن ترتيب الأولويات؟ هل تقولون أنكم ستركزون أولاً على [تحقيق] السلام، وفيما بعد يحين دور الإصلاح الداخلي؟

□ [....] السلام هو الأساس بالنسبة إلى كل شيء. من دون السلام لن يكون هناك نمو [اقتصادي]، ومن دون النمو لن يكون لدى الحكومة مال لتفعل ما تريد [....]  
[.....]

■ ماذا بشأن التبادلية؟ اتفاق شرم الشيخ يتضمن تواريخ محددة لانسحابات من الضفة الغربية، لكن لا يتضمن حداً زمنياً لوفاء الفلسطينيين بالتزاماتهم، ما كانت الحكومة السابقة تسميه التبادلية (reciprocity)، كما هو مذكور في اتفاق واي.  
□ المشكلة مع الحكومة السابقة هي أنه كان هناك فجوة كبيرة جداً بين الحقيقة وبين ما كانت تقوله. كان المرء ينصت إليهم ويفهم أنه ما دامت الجنة لم تهبط على الأرض فإنه لن يحدث تقدم في الاتفاقات.

[.....]

كانت التبادلية كلمة شيفرة لأعذار من أجل عدم تنفيذ شيء ألزمت نفسك بتنفيذه. لذلك، يجب أن نجد طريقة أخرى للتعبير عن الفكرة نفسها.

[.....]

■ يقال إن عرفات يحبط حقاً هجمات إرهابية، لكنه لا يقتلع البنية التحتية للإرهاب.

□ إنه ليس فارسنا المنقذ. لكن قياساً بما كان يجري هنا قبل ثلاثة أعوام أو ستة أعوام، فإننا أمام قصة مختلفة.

لقد كنت قبل قليل أتعشى معه (عرفات)، برفقة زوجتي وابنتي. وأتذكر أنه بعد ولادتها كنت شخصياً أشارك في التخطيط لمهمات من أجل التخلص منه، وها أنا الآن أتعشى معه.

وهكذا، عندما ننظر إلى الصورة من خلال منظور يومي، نبدو أننا نسير في خط متعرج. لكن عندما ننظر إليها من خلال منظور زمني أوسع، ونرى ما تحقق خلال عشرة أعوام أو نحو ذلك، نرى اتجاهًا ما. في سنة 1968 كنا في (منطقة) الكرامة (الأردنية) نطارده [عرفات]، وأفلت منا على دراجة نارية، ليس على دراجة نارية، لا أدري، لكنه أفلت. وفي سنة 1978 عقدنا صفقة سلام مع المصريين. وفي سنة 1988 كنا في مواجهة الانتفاضة. وفي سنة 1998 كانت خمسة أعوام قد مضت على اتفاق السلام [مع الفلسطينيين].

[.....]

■ هل حذرتكم عرفات من أن الهجمات الإرهابية قد تقوض عملية السلام؟

□ إنه يعرف ذلك 100٪. هناك نوع من الإرهاب يمكن أن يوقف العملية، نعم.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>